مـــجـــلـــة دراســـات بيت الـــمـــقـــدس، 2021، 21(1): 111–126
DOI: 10.31456/beytulmakdis.808562

المُطّوّعة واسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي

قاسم حسن عباس آل شامان السامرائي*

ملخص: المُطّوّعة هم المتبرعون بالغزو، والذين لا اسم ولا سهم لهم في الديوان، وقد كان لهم حضور في معظم معارك الدولة، ولعل مساهمتهم في الحرب ضد الغزاة الصليبيين من أكبر المساهمات وذلك لامتداد رقعة الجبهة وطول الفترة الزمنية التي استغرقتها الحملات الصليبية تحت غطاء ديني مزيّف، والتي تمكنت من احتلال الكثير من المدن في الجزيرة الفراتية والشام وخصوصا بيت المقدس. ان عملية استدعاء المُطّوّعة للقتال كانت تتم اثر اعلان النفير في المساجد، فللوازع الديني اسهام فاعل في ذلك كون العقيدة الاسلامية تحث على الدفاع عن الارض والاهل والمال، وعلى اساس ذلك توافدت على الجبهة افواج من الناس مُتطوعة للقتال مرضاة لله، وكان من بين هؤلاء بسطاء الناس (وهم الاغلبية) فضلاً عن العلماء والفقهاء والقضاة والادباء فكانوا من المقربين عند صلاح الدين الايوبي، فمنهم المستشارين والقادة.

الكلمات المفتاحية: المُطّوّعة، جهاد، بيت المقدس، حطين، الحملات الصليبية، الصليبيين، المساجد.

Volunteer Warriors and their Contributions to the Wars of Sultan Salah al-Din

ABSTRACT: *Volunteers warriors are the unpaid combatants during war; they are neither registered in the Diwan nor have a share in it. They however had a strong presence in most of the state's battles, and perhaps their contribution to the wars against the Crusaders was one of the largest contributions due to the extension of the battlefront and the long span of time that the Crusades continued under a false religious pretence. During which they managed to occupy many cities in the al-Jazirah (Upper Mesopotamia) and Bilad al-Sham and particularly Bayt al-Maqdis. The process of summoning and mobilising these volunteer to fight would take place after announcing the call to Jihad in mosques. The religious factor had an effective contribution to this, since the Islamic doctrine urges the defence of the land, family and wealth. For this reason groups of volunteers flocked to the frontlines to fight for the sake of pleasing God, amongst them were ordinary people whom were the majority, besides scholars, jurists, judges, and writers. Many of whom became close to Salah al-Din and in his inner circle becoming some of his advisors and commanders.*

KEYWORDS: *Volunteers, Jihad, Bayt al-Maqdis, Hittin, Crusades, Crusaders, Mosques.*

* الأستاذ البروفيسور في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة سامراء، سامراء/ العراق،
alshamankasim@gmail.com

مقدّمة

كان لاشتداد الهجمات الصليبية على الأراضي الإسلامية بهدف احتلال الأرض المقدسة ردة فعل عنيفة من عامة الناس وخاصتهم إذ تطوعت أعداد كبيرة من هؤلاء قرباة لله وتلبية لواجب الجهاد، وقد عُرف هؤلاء بـــ "المُطّوّعة"، فهم لا يبتغون اجراً ولا مالاً سوى مرضاة الله، وقد نالوا رعاية وعناية من صلاح الدين الايوبي، وقاتلوا معه بكل بسالة، وتقدم عنده الكثير من قادتهم، كما قرب منهم العلماء والفقهاء والأدباء. لقد أخلص الـــمُطّوّعة وقادتهم لصلاح الدين، وخاضوا معه أشرس المعارك، وكان لقادتهم مقام معلوم عند القائد، فكانوا مستشاريه وأعضاء مجلس الشورى، كما تولوا قيادة الجموع وتحقيق النصر الحاسم.

اقتضت طبيعة البحث على تقسيمه إلى خمسة مباحث فضلاً عن ملخص ومقدمة وخاتمة، إذ تناول المبحث الاول تعريف المُطَّوِّعة ورعاية صلاح الدين لهم، فيما تناول المبحث الثاني اسهام المُطَّوِّعة في معركة حطين، أما المبحث الثالث فقد درس اسهامهم في معركة عكا وحسمهم لنتائجها، وتناول المبحث الرابع الاندفاع الكبير للمُطّوّعة في معركة تحرير بيت المقدس على حين تناول المبحث الخامس اسهامهم في معركة جبلة والساحل الشامي، ولا بد من الاشارة هنا إلى ان معارك الساحل الشامي تكفي وحدها لبحث مستقل ما تطلب منا الاشارة لذلك ليكون ملبياً لضوابط البحث.

عناية السلطان صلاح الدين بالعلماء المُطَّوِّعة

في المعنى اللغوي والإصطلاحي الطَوْعُ في اللغة هو الانقياد والموافقة، واطاعه بمعنى طاع له، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه.[1] ويقال للمجاهدة الذين يتطوعون بالجهاد بالمُطّوّعة بتشديد الطاء والواو، واصله المتطوعة، ثم أُدغمت التاء في الطاء، قال تعالى: ﴿الّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطّوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،[2] أراد والله اعلم المتطوعين.[3] وأما اصطلاحاً، فبالرغم من وجود اتفاق في عموم المعنى وهو الجهاد، الا ان ثمة خلاف في تفاصيله، فيُعرف ابن منظور قائلاً :"ان المُطّوّعة المتبرعون بالغزو الذين لا اسم لهم في الديوان فلا يقاتلون قتال من له سهم".[4] أما الغزالي فيرى ان المُطّوّعة هم: "الغزاة الذين لا يأخذون من الفيء ولا اسم لهم في الديوان، ويُعطون سهماً من الزكاة للصرف إلى السلاح والفرس والنفقة إعانة على الغزو وإن كانوا أغنياء".[5] ويذهب ابن الاثير إلى أنهم "المتبرعون بالغزو والذين لا اسم لهم في الديوان فلا يقاتلون قتال من له سهم..".[6]

كان لإستشهاد السلطان نور الدين محمود زنكي سنة (569هـ/1174م) الأثر البارز على بلاد الشام التي اضطربت "وهي في مواجهة مع الصليبيين وبويع من بعده بالـــمُلك لولده الصالح اسماعيل، وكان صغيراً"،[7] فانتهز الصليبيون الفرصة لشن هجوم على املاك الدولة الزنكية وبخاصة مدينة دمشق،

غير ان الأمير ابن مُقدّم الأتابك،[8] وقف بوجه تلك الحملة واستطاع درء خطر الصليبيين عن طريق المهادنة التي كلفته "اموالاً جزيلة عجّلها لهم"[9] وعليه اصبح الوضع السياسي القائم ببلاد الشام عاملا اساسياً دافعاً لتدخل صلاح الدين الأيوبي الذي كان حينها يعمل جاهداً على تصفية كل اثرٍ للوجود الفاطمي بمصر، وحينما تم له ذلك قصد بلاد الشام التي ركز بها همّه على ترتيب الاوضاع الداخلية هناك،[10] فما ان حلّت سنة (570هـ/1175م) حتى اصبح صلاح الدين الأيوبي سلطاناً على مصر وبلاد الشام وبمباركة الخلافة العباسية، ليدخل الصراع ضد الصليبيين مرحلة جديدة من مراحل هذا الصراع التاريخي المرير.

وتلبية لمقتضيات تلك المرحلة فقد كان الإهتمام بالجيش وتطوير صنوفه من الأولويات التي ركّز عليها صلاح الدين الأيوبي، فكان من الطبيعي ان يحظى المُطّوّعة من العلماء والفقهاء والكتّاب وزعماء القبائل العربية والعوام بمكانة مماثلة عند السلطان صلاح الدين وبخاصة بعد توحيد الشام مع مصر تحت حكمه، اذ سار على نهج الزنكيين في محبة هؤلاء ومجالستهم، فيصف المؤرخ والطبيب عبد اللطيف البغدادي احد مجالس السلطان في بيت المقدس إذ يقول: "وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يُحسِن الإستماع والمشاركة، ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع"،[11] ومما يدل على المكانة التي بلغها المتطوعة توليته اياهم المناصب الرفيعة في الدولة كالدواوين والقضاء وقيادة الجيش وادارة الثغور والسياسة الخارجية.[12]

لقد برزت مكانة وأهمية المتطوعة عند صلاح الدين منذ تولّيه الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد في مصر، إذ كان يعتمد على الفقيه عيسى الهكاري[13] في كثير من الإمور حتى اصبح واحداً من كبار الأمراء في دولة السلطان صلاح الدين الذي كان يحترم عقله وآراءه ويستشيره كثيراً في امور الحكم، فلم يكن يخرج عن رأيه.[14] ولم تقف عناية السلطان صلاح الدين بهذا الفقيه، وإنما سخّر كل اهتمامه بالمُطَوِّعة جميعاً، الذين ابدوا اخلاصاً للدين ودولته، وأشركهم في ادارة الدولة فنالوا ارفع الدرجات في الحكم لثقته بهم وبقدراتهم العلمية والعقائدية، ومنهم الفقيه ابن ابي عصرون،[15] الذي انتدبه صلاح الدين سفيراً له إلى الخلافة العباسية، فضلاً عن مشاركته في القتال بمعركة حطين.[16]

أما العالم الأديب أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ بن نصر بن منقذ[17] (ت. 584هـ/ 1188م) من أكابر آل منقذ اصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم،[18] فقد شارك مع المطّوّعة في المعارك ضد الغزو الصليبي، ومن هذه المعارك معركة حصار حارِم،[19] فقد قاتل إلى جانب السلطان نور الدين محمود الشهيد في سنة 557هـ/ 1162م، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا فأقام به حتى ملك

السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة دمشق فاستدعاه،[20] إذ كان السلطان معجباً بشعره الحماسي محتفظاً بنسخة من ديوان ابن منقذ.[21]

اسهام المُطَّوِّعة في معركة حطين (583هـ/1187م)

كان للمطّوّعة اسهاماً فاعلاً في اقامة الوحدة الإسلامية بين مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية وبخاصة بعد الدعوة التي وجهها صلاح الدين إلى اقاليم المشرق الإسلامي يدعوهم فيها إلى الجهاد والحث عليه.[22] فلبت الدعوة جموع غفيرة من ابناء تلك الأقاليم وذلك على إثر قيام امير الكرك الصليبي أرناط[23] في مستهل سنة 583هـ/1187م بنقض الهدنة المبرمة مع المسلمين وذلك بالإغارة على قافلة تجارية قادمة من مصر وسلب اموالها وأسر رجالها،[24] وبلغ من صلفه واصراره على الإساءة للمسلمين أن رد على رسل السلطان صلاح الدين بقوله: "قولوا لمحمد يخلصكم".[25]

فلقد اوصى متقدمو المطّوّعة من العلماء والفقهاء والقادة السلطان بإعلان الجهاد، فكتب إلى جميع الأقاليم وبخاصة الموصل والجزيرة الفراتية ومصر وجميع ولايات الشام يستنفرهم ويحثهم على التجهز للجهاد.[26] في الوقت الذي كان يجمع فيه قوات من بلاد الشام حتى اجتمع له من أهل حلب ودمشق جيش كبير من المطّوّعة ضمّهم إلى جيشه الزاحف من ضفاف نيل مصر.[27]

وقبل الشروع بقتال الصليبيين بادر أحد قادة المطّوّعة وهو العالم الجليل أبو سعيد مظفر الدين كوكبري،[28] والملقب بقائد خيل الجزيرة،[29] بالاقتراح على مجلس الشورى بقيادة مفرزة استطلاعية من أجل معرفة طبيعة الأرض واستعدادات العدو. فوافق المجلس على مبادرته، فانطلقت المفرزة نحو بانياس عابرة الأردن ليلاً ومرت تحت اسوار طبرية وتوجهت باتجاه الناصرة وصفورية وعكا، إذ مرّت بكفر سبت ولوبية وترعان وتجولت في منطقة حطين حتى وصلت إلى منابع صفورية، وقد اعترضتها مفرزة صليبية يقودها جيرارد قوامها 150 فارساً فاحتدم القتال بين الجانبين في منطقة عين كأبون جنوب كفر كنه، فأسفرت المعركة عن قتل جميع الفرسان الصليبيين إلاّ ثلاثة منهم هربوا، لتعود مفرزة المُطَّوِّعة بوافرٍ من المعلومات والغنائم.[30]

اجتمعت الحشود الصليبية التي بلغ تعدادها 50 الف مقاتل بصفورية يقودهم الملك جي دي لوزنيان لحرب المسلمين.[31] أما صلاح الدين فلم يكن لينتظر استكمال استعداداته إذ خرج من دمشق في محرم سنة 583هـ/1187م موزعاً قواته[32] من العسكر وحشود المطّوّعة،[33] ليتجه بهم جنوباً حتى وصلوا منطقة رأس الماء إلى الشمال الغربي من حوران،[34] ليترك ابنه الأفضل مقيماً فيها من اجل تجميع ما تبقى من العساكر والمطّوّعة.[35]

سار السلطان بقواته من نواحي الكرك إلى عشترا،[36] ليجتمع هناك بمجلس قيادته وأركان حربه وكان يتألف من العادل والأفضل والظاهر وأولاد عمومته من أمراء الجيش. وكان للمُطّوّعة إسهام في هذا المجلس الذي كان يضم عددا من علماء المطّوّعة، كالقاضي الفاضل والعماد الاصفهاني وبهاء الدين بن شداد والفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري، والعالم الجليل مظفر الدين كوكبري وينظم اليهم احياناً تقي الدين عمر وغازي وشهاب الدين محمود الحارمي وبهاء الدين قراقوش وسيف الدين المشطوب الهكاري وأبو الهيجاء الهذباني وحسام الدين لؤلؤ شمس الدين بن المقدم. فاستمع في هذا الاجتماع إلى أساليب المواجهة المقترحة وكانت على أسلوبين، الأول يتجه نحو تجنب المواجهة المباشرة والإكتفاء بالغارات والكمائن، إذ أنها حققت نتائج كبيرة ومنعت الصليبيين من الحصول على الماء بفعل الهجمات المتكررة من قبل المفارز وقد كان هذا الرأي يشكل غالبية الحضور.[37] إلاّ أن السلطان صلاح الدين حرص على التشاور مع العلماء المُطّوّعة الذين نصحوه بالحفاظ على المبادرة بالهجوم لكي يحرم العدو من امتيازها وبالتالي مضايقته وتشتيت قواته، وهذا هو الرأي الثاني.[38] رجحت عند السلطان رؤية العلماء المُطّوّعة إذ اعلن قراره قائلاً: "الرأي عندي ان نلقي جمع المسلمين بجمع الفرنج، فإن الأمور لا تجري بحكم الإنسان ولا نعلم قدر الباقي من اعمارنا ولا ينبغي ان نفرق هذا الجمع إلاّ بعد الجدّ بالجهاد".[39]

قسّم المجتمعون الجيش إلى محورين، الأول من الجهة الجنوبية براً وبحراً يضم جيش مصر ومعه حشود المُطّوّعة من دمشق وحلب. فإن دخل الجيش من جهة العريش فسيلتقي بالأسطول المصري من ميناء عسقلان قرب يافا. وبذلك سيتم عزل القدس عن البحر ويقطع إمداد الصليبيين من غرب أوروبا ما يسهّل انتزاع المدن والقلاع الداخلية منهم، فأُنيطت هذه المهمة للعادل.[40] أما المحور الثاني فيُكوّن الجهة الشمالية إذ أناط لابنه الأفضل قيادته ويرافقه السلطان صلاح الدين نفسه، وتتألف عناصر هذا المحور من عساكر ومُطّوّعة من سوريا والعراق ومصر، وكانت مهمته مهاجمة الصليبيين من منطقة طبرية ليخوض معركة فاصلةً في حطين. ومن ثم مطاردة العدو ليستولي على عكا وبالتالي شطر كيان الصليبيين إلى شطرين، ثم الاتجاه شمالاً لتحرير باقي الموانئ الواقعة بين عكا وبيروت، ثم يعود المحوران ليلتقيان في عسقلان ومن ثم التوجه إلى الهدف الرئيس وهو تحرير بيت المقدس.[41]

اتبع السلطان صلاح الدين خطة عسكرية استهدفت سحب الصليبيين إلى المكان الذي اختاره لمواجهتهم فيه فزحف بقواته إلى طبرية، وبهذا استطاع السلطان سحب الصليبيين عن موقعهم في صفورية ليعانوا مشاق السفر والتعب،[42] مستبشراً بذلك قائلاً: "وقد حصل المطلوب وكمل المخطوب وجاءنا ما نريد".[43] واسترسل قائلاً: "ونحن أولوا بأس شديد واذا صحت كسرتهم طبرية وجميع الساحل ما دونه مانع ولا عن فتحه وازع".[44] وقد قدمت مفرزة المطّوّعة التي يقودها العالم مظفر الدين للجيش

الزاحف العديد من الخدمات والمعلومات التي كانت عوناً لفهم تحركات طلائع العدو بقيادة ريموند والتي وصلت إلى وادي المعلقة على مسافة ثلاثة اميال من بحيرة طبرية بعد ان شرعت بحفر خنادقها على الميول الأمامية لتل (قرون حطين) التي تقع تحت قرية حطين.[45] كما اسهم المطّوّعة في ابداء المشورة للخطط العسكرية التي اتبعها صلاح الدين، إذ اعتمد خطة ابتكرها احد المطّوّعة،[46] تقضي بالحيلولة دون وصول الصليبيين إلى الماء. إذ كان السلطان قد استغل وقت الصيف القائظ لمحاربة الغزاة الصليبيين بناءً على مشورة أحد المطّوّعة من أبناء بيت المقدس والذي سبق له وتعايش مع الصليبيين وتقضي مشورته بأن اغلب عناصر الغزاة من بلدان المناطق الباردة من انجليز والمان ولومبارد وايطاليين ونمساويين وفرنسيين، وهؤلاء غير متعودين على حرارة جو المشرق العربي، ما يضعف قدرة التكيف عندهم والصمود مقاتلين وخيول ودواب أخرى.[47]

ترك صلاح الدين قوة صغيرة لمحاصرة قلعة طبرية وسار بقواته إلى حطين،[48] عامداً إلى تسميم جميع الآبار الموجودة في المنطقة بغية عدم انتفاع الصليبيين منها.[49] وفي يوم الجمعة 23 ربيع الآخر 583هـ/ 3تموز 1187م وصل الصليبيون إلى حطين التي اتخذوها معسكرا لقواتهم بعد ان أنهكهم التعب والعطش،[50] إذ حاولوا البحث عن المياه في الآبار القريبة فوجدوها مسممة. كما تطلع قسم من قواتهم إلى مياه طبرية فمنعتهم مفارز المُطَّوِّعة المنتشرة هناك من الوصول اليها.[51] كما قامت حشود العسكر والمطّوّعة بمهاجمتهم هنا وهناك بقصد إرباكهم وإضعافهم ومشاغلتهم فخسر الغزاة اعداداً كبيرة بين قتيلٍ وجريح.[52] وما أن حلّ الليل حتى كان الصليبيون في اسوأ حال إذ امضوا ليلتهم وهم يئنون من ألم الجراح.[53] أما السلطان صلاح الدين فقد رتب قواته بأن جعل على الميمنة الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن ايوب،[54] وعلى الميسرة كبير المطّوّعة العالم الجليل أبو سعيد مظفر الدين كوكبري، أما السلطان فكان في القلب.[55] كما اصدر أوامره بمحاصرة العدو من جميع الجهات فأحاطت بهم حشود العسكر والمطّوّعة "كإحاطة الدائرة بقطرها،[56] "وبات صلاح الدين ليلته متنقلاً بين اجناده يأمرهم بملء الجعاب وكنائنها بالنبال، حتى انه فرّق من النشاب اربعمائة حمل، وعيّن سبعين موضعاً ملأها بالنشاب ليقصدها من خلت جعابه".[57] لقد كان من الطبيعي ان يقوم السلطان بجلب كم هائل من الأسلحة وصل إلى "أربعمائة حمل ووقف نحو سبعين جمازة في حومة المعركة"،[58] كون المعركة قد حشّدت من المُطَّوِّعة ما يفوق العسكر النظاميين فيحتاج إلى عدة يستعين بها خلال قتاله الصليبيين.

بدأت المعركة صبيحة اليوم التالي السبت 24 ربيع الآخر سنة 583هـ/ 4 تموز 1187م، فأنقضّت حشود العسكر والمطّوّعة على عدوهم وقاتلوا قتالاً بطولياً انهزمت على اثره طائفة من الجيش الصليبي فلحق بها عدداً من الفرسان حتى لم يُبقوا واحداً منهم. وان ما عجّل في حسم الموقف هو ما قامت به

ثلة من المُطَّوِّعة بقيادة مظفر الدين كوكبري بإضرام النار في هشيم الحشائش التي كانت تكسو هضبه حطين اذ يستقر الجيش الصليبي؛ "فاجتمع عليهم حر الزمان وحر النار وحر القتال".[59]

شددت حشود العسكر الاسلامي من النظاميين والمُطَّوِّعة الذين التحقوا اثناء المعركة على الصليبيين من كل جانب فلم ينجُ من هول المعركة الا أمير طرابلس ريموند الثالث مع قلة من اصحابه بعد أن أدرك بأن المعركة ليست في صالحهم.[60] واستناداً إلى ذلك استمر المسلمون بضرب القوات الصليبية حتى تمكنوا من اسقاط خيمة الملك جي دي لوزنيان وتم أسره هو ومن معهم من الفرسان الذين لم يبق منهم سوى مائة وخمسين فارساً.[61] كما تم أسر بقية القادة أمثال أرناط وابن الهنفري صاحب تبنين،[62] وأنّب صاحب طبرية ومقدم الداوية جيراردي ردفورد وهو صاحب جبيل، ومقدم الاسبتارية.[63] فكانت معركة حطين من المعارك المشهودة التي خاضها المسلمون عسكراً ومطّوّعة ضد الغزاة أسهب في وصفها المؤرخون اذ يذكر ابن الاثير حجم خسارة القوات الصليبية قائلاً: "كثُر القتل والأسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم أسروا واحداً، ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً".[64]

ويشير المؤرخ الانكليزي "جب" حول مساندة المُطّوّعة لجيش السلطان صلاح الدين وانتصارهم في حطين بقوله : "إن عدد الجند النظامي لدى صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين لم يكن يتجاوز الاربعة عشر الف مقاتل، أما المحاربون الآخرون فكانوا مُطّوعة متصوفة مع اتباعهم، ومنهم الأندلسيون والمغاربة من غير المؤهلين للحرب بشكل نظامي مرتب".[65]

اسهام المُطّوِّعة في معركة عكا

تابع السلطان صلاح الدين مسيرته الجهادية من أجل فتح عكا سنة 583هـ/1187م، بطلب من العلماء والقادة المُطّوّعة وبدعوة من المُطّوّعة القادمين من بلدات الساحل الشامي الرازح تحت الاحتلال الصليبي. فنزل بعد ذلك على صور فوجدها مدينة حصينة وقد زاد الصليبيون الفارين من جحيم حطين من تحصينها بعد ان حفروا خندقاً حولها وشحنوها بالأسلحة والعُدد والمقاتلة. وأصاب الضجر والملل أكثر أمراء المسلمين لما رأوه من تعثر فتحها فأشاروا على صلاح الدين بالرحيل. فأخذ السلطان صلاح الدين يستشير رأي المُطّوّعة من أركان حربه والذي يعتز برأيهم وخبرتهم في المعارك، وفي مقدمتهم الفقيه عيسى الهكّاري فقرروا ضرورة المصابرة والاجتهاد والثبات والفتح، لئلا يضيع ما تقدم من الاعمال وإنفاق الاموال.[66] إلا أن السلطان اضطر للرحيل عن صور للتعب الذي لحق بالعساكر وتقاعسهم عن القتال متوجهاً إلى عكا مُحيلاً أمر حصار صور إلى وقت آخر.[67]

على الصعيد التطبيقي حققت هذه الخطة التي اعقبت انتصار حطين أهدافها إلى حد كبير، إذ تم قطع الطريق على الصليبيين في أوروبا، ومنعهم من تقديم الدعم للصليبيين في الشرق وفتح الطريق أمام

القوات المصرية والمُطَّوِّعة المرافقين لهم براً وبحراً لضرب أي تحركات أوروبية وللإسهام بالضغط على الصليبيين، واسترجاع بلاد الساحل الشامي منهم، واستكمال تطويق الكيانات الصليبية، في مملكة المقدس وانطاكية وطرابلس عن طريق البحر، بعد ان تم تطويقها عن طريق البر. وبالفعل تم تحرير عكا،[68] وقيسارية ونابلس،[69] ويافا،[70] وصيدا،[71]وحيفا، وتبنين وبيروت،[72] وجبيل،[73] وعسقلان.[74]

وكان للمُطّوّعة دور واضح في المشاركة الفعلية في القتال ضد الحملة الصليبية واسترداد الساحل الشامي، إذ أن السلطان صلاح الدين كان حريصاً على استشارة من حوله في كثير من خططه العسكرية ومن بين هؤلاء كان الفقيه عيسى الهكاري الذي تولى قيادة مقدمة جيش السلطان صلاح الدين في معركة عكا.[75] وقد منح السلطان صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري كل ما كان لدى الفرسان الداوية من اقطاع وضياع ومواضع، فأخذها بما فيها من غلال ومتاع واستخرج دفائنها، وما كان بمخازنها.[76] وذلك تقديراً لمساهمته في مقاومة الغزاة الفرنج، ولما عُهِد عنه من فعل الخير، وقضاء حاجات الناس.[77]

بهذا يكون الساحل الشامي قد دخل تحت سيطرة صلاح الدين من بيروت إلى يافا باستثناء صور، التي لم يتمكن من فتحها، لأن القوات الصليبية التي فرت من معركة حطين التجأت اليها.[78] وهذا جعل صلاح الدين يؤجل قضية تحريرها ويتجه نحو بيت المقدس إذ تم له تحقيق نصر كبير.[79]

اسهام المُطَّوِّعة في فتح بيت المقدس

توجه السلطان صلاح الدين إلى بيت المقدس الذي كان في غاية التحصين وكان عدد الصليبيين فيه ستين الف مقاتل.[80] وكان به البطرك المعظم وصاحب الرملة (باليان بن بارزان) وهما بمرتبة الملك. وسلّم السلطان كل طائفة من الجيش ناحية من السور وابراجه، وتحرك السلطان إلى ناحية الشمال لأنها أوسع للجلاد والترال، ثم بادر إلى الزاوية الشرقية الشمالية فنقبها وحشاها واحرقها، وخرّ البرج برمته فإذا هو ساقط. وكان المسلمون يستميتون في القتال حينما ينظرون إلى الصخرة وقد نصب عليها الصليب.[81] ولما رأى الصليبيون شدة القتال من العساكر تشاوروا واتفقوا على طلب الامان، فبعثوا أعيانهم وكبرائهم إلى السلطان صلاح الدين لكنه رفض في البداية. وهدد باليان بن بارزان،[82] السلطان صلاح الدين بتخريب الصخرة والمسجد الاقصى وقتل من بأيديهم من أسرى المسلمين، وقتل نسائهم وأبنائهم، وحرق أموالهم وأمتعتهم.[83] اجتمع مجلس الحرب مع السلطان صلاح الدين فانقسم إلى شطرين فعساكر المسلمين ذهبت إلى انزال العقاب بالصليبيين كما فعلوا عند احتلالهم لها وأما المُطّوّعة في المجلس فذهبوا إلى حقن الدماء واحترام المقدسات التي فيها، فألتزم السلطان بالرأي الثاني.[84] وأجاب الصليبيين بالأمان مقابل ان يبذل الرجل عن نفسه عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير والطفل دينارين، وفرَّج الله عمن كان من أسرى المسلمين، وتسلم السلطان بيت المقدس.[85]

وقد أجمعت المصادر الاسلامية على اشتراك اعداد كبيرة من المُطَّوِّعة باختلاف ألوانهم مع صلاح الدين في فتح بيت المقدس، على حد تعبير مؤرخيها "قصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور".[86] ويتضح دور المُطّوّعة من العلماء والفقهاء والقضاة الذي كان بارزاً ايضاً في الوصف الذي قدّمه الفقيه الواعظ والمؤرخ سبط ابن الجوزي أثناء تحرير بيت المقدس سنة (583هـ/ 1187م) بالقول: "وشهد معه [صلاح الدين] هذا الفتح عشرة آلاف عمامة".[87]

ورغم الفرحة باسترداد بيت المقدس من يد الصليبيين الذي غاب عنه حكم الإسلام نحو ثمانية عقود، لم ينس السلطان صلاح الدين وزيره ومستشاره في مجلس حربه القاضي الفاضل الذي غاب بسبب مرض ألمّ به بدمشق حتى ارسل اليه رسالة يبشره فيها بهذا الفتح العظيم. ومن خلال كلمات هذه الرسالة يتضح مدى ما كان يكنّه السلطان من حب واحترام وتقدير لهذا القاضي الجليل، الذي تطوع من فتوته في خدمة الدين.[88]

ولعبت المكانة التي احتلتها بيت المقدس في نفوس المسلمين جميعاً دوراً في تحريض الجميع على أن يكون لهم دور السبق للمشاركة في تحريرها من الصليبيين. ولهذا شهد هذا الفتح حضوراً لا مثيل له من مختلف فئات المجتمع. إلا ان أكثر الحضور كان من العلماء وتمثل ذلك بإشارة ابن شداد لقوله: "وكان فتحاً عظيماً شهده من اهل العلم والخلق عظيم، ومن ارباب الخِرَقَ والطُرق، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يَسّرَ الله على يده من فتوح الساحل وقصده بيت المقدس فقصده العلماء من مصر والشام بحيث لم يتخلف معروف من الحضور، وارتفعت بالضجيج والدعاء والتهليل".[89] فهذا العالم ابن أبي عصرون، شرف الدين أبو سعد عبدالله بن محمد (ت585هـ/ 1189م)،[90] تجلى دوره من خلال ما أوردته المصادر التاريخية من المواقف البطولية التي قام بها. وقد تطوع هذا الشيخ مع السلطان صلاح الدين الايوبي في معركة حطين لتحرير بيت المقدس وقام هذا القاضي بعد فتح بيت المقدس باقتياد الاسرى الصليبيين من الملوك والأمراء ودخل بهم دمشق وهو يحمل صليب الصلبوت منكساً.[91] يقول ابن كثير في هذا الموقف: "ثم ارسل السلطان صلاح الدين مجموعة من أسارى الفرنج على هيئتهم في حال حربهم وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوبى من دار الخليفة الناصر لدين الله العباسي.[92]

كما ذكر ابن رجب أسماء عدد كبير من العلماء المقادسة الذين شهدوا هذا الفتح فأشار إلى حضور الشيخ أبي عمر المقدسي وأخيه الموفق المقدسي،[93] إذ كانا مجتمعين في خيمتهم مع بعض الناس حامدين الله تعالى لفتح بيت المقدس.[94] وكذلك الشيخ ضياء الدين المقدسي الذي شهد له ابن رجب بأنه كان يجاهد في سبيل الله ويحضر الغزوات مع صلاح الدين،[95] والشيخ عبد الغني المقدسي،[96] الذي لم يقتصر

حضوره على هذا الفتح وإنما كان من المواظبين على حضور الغزوات ضد الفرنج،[97] وكذلك الفقيه أبي القاسم سيف الدين المقدسي.[98]

وممن شارك في هذا الفتح أيضاً الفقيه ناصح الدين الشيرازي الحنبلي المشهور ببراعته في الوعظ والحث على الجهاد، فلم يترل مدينة الاّ ووعظ بها.[99] ويظهر أنه آثر البقاء ببيت المقدس بعد فتحها، إذ اجتمع مع صلاح الدين ببيت المقدس بعد فتحها بسنتين، وان السلطان استفتاه في بعض المسائل الفقهية المتعلقة بالفرنج.[100] وأُضيف إليهم المُحدِّث طغدي بن ختلع.[101] كما عرف بيت المقدس أحد الشيوخ المُطَّوِّعة الفاتحين له وهو الزاهد شهاب الدين أبو العباس أحمد بن جمال الدين عبد الله المقدسي (ت. 594هـ/ 1197م)،[102] وقد لُقِّب بأبي ثور لأنه قاتل الصليبيين أثناء فتح بيت المقدس وهو يمتطي ثوراً.[103]

اسهام المُطَّوِّعة في معركة جبلة

ومن الادوار الهامة التي قام بها المُطّوّعة اثناء استرداد صلاح الدين الايوبي للثغور الساحلية من الصليبيين ما قام به الشيخ منصور بن ثبيل قاضي جبلة،[104] ذو الشخصية القوية والكلمة المطاعة عند اتباعه مما كان له أكبر الاثر في استمالة بوهيمند صاحب انطاكية اليه لينتفع به.[105] فقد قام هذا القاضي بدافع الغيرة على دينه بالتوجه إلى السلطان صلاح الدين أثناء فتحه بعض الحصون على الساحل، وأشار عليه بالمسير إلى جبلة لفتحها قبل غيرها، لينقذ المسلمين المقيمين بها من طغيان الصليبيين عليهم، موضحاً له سهولة فتحها في وقت قصير. وقال له: "وهذه جبلة وما ورائها من المعاقل، قنيصة للحابل، وفرصة للمتناول، ولهنة للآكل، ونغية للناهل وامنية للعاقل، فما دونها مانع، ولا عنها مدافع، وهي على غرتها وغرورها وغفلتها وفتورها، لم يفترع عذره امنها ذعر، و لم يفثا سورة نفعها ضر، و لم يقرع باب يسرعها عسر، فان سلكنا سبيلها، ملكنا سبيلنا، وان جزانا راحتها، وان استقدنا ملكها قيادها، وان اعتدنا حواءها حوينا عتادها، وان افتتحنا بها فتحناها، والمسلمون بجبلة مجبولون على التسليم، مؤملون ان يتبادل شقائهم منكم بالنعيم".[106] اقتنع السلطان صلاح الدين بصدق نصيحة قاضي جبلة وذلك لسببين أساسين الاول كان بإمكانه أن يبقى على وضعه وعلاقته بالصليبيين فأما مقاومة كما باقي الثغور أو سلم بإذلال. والسبب الآخر أنه جاء متطوعاً ملبياً طلب أهل جبلة بضرورة التصدي للصليبيين وطردهم، وقد ربط عودته إلى جبلة بموافقة السلطان أو البقاء مع المُطَّوِّعة في جيوش المسلمين.[107]

قرر السلطان صلاح الدين التوجه اليها معه، فلما وصلها في يوم الجمعة 18 جمادى الاولى سنة 584هـ/ 15 يوليو 1188م)،[108] خرج عليه مسلمو البلد فرحين مهللين، ورفعوا على سور جبلة الرايات الناصرية المنصورة، والحماس الديني يملأ قلوبهم بفضل ما بعثه قاضيها في نفوسهم من أمان كبيرة بأن خلاصهم سيكون على يد صلاح الدين.[109] ولما فوجئ الصليبيون بجيش صلاح الدين أخذوا يلوذون

بالفرار أمامها وتحصنوا بقلعتها الحصينة، وعندئذ استخدم قاضي جبلة خطة محكمة لتحطيم معنوياتهم ومقاومتهم وليجبروا على الاستسلام، فأخذ يخوّفهم ويرعبهم حتى استرهلم بشرط أن يسترهنهم إلى أن يردوا من انطاكية رهائن جبلة من المسلمين؛ "فضبط عنده جماعة من دون رؤوس الفرنج والمتقدمين حتى أعاد صاحب انطاكية الرهائن التي عنده، ففك بها رهائنه".[110] وهكذا تسلم السلطان جبلة وتولى قاضيها أمر الصليبيين بها، فقام باستخراج الأموال والذخائر التي كانت لهم، وصادرها لخدمة المسلمين، وجرّدهم من كل سلاح وعدة وخيل وقوة.[111]

وازاء هذا الموقف العظيم الذي قام به قاضي جبلة الذي حل متطوعاً جديداً في الجيوش الاسلامية،[112] قام صلاح الدين بإعادته إلى منصبه وتبجيله وتشريفه؛ "وحبس عليه ملكاً نفيساً، ووقفه، وصرفه في أملاك ابائه، وحكّمه ولاية حكمه وقضائه".[113] أما الساحل الشامي، فقد كان للمُطَّوِّعة اسهاما بارزاً في معاركه، إذ ساهموا في ايصال رسائل صلاح الدين إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله وسلطان المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن.[114] كما كان من المُطَّوِّعة من ينقل للسلطان أخبار الحملة الثالثة وتقييمها،[115] فضلاً عن مساهمة المُطَّوِّعة وعلمائهم في صد الحملة الصليبية الثالثة التي اتجهت نحو عكا.[116] والبحث لا يستوعب التفاصيل في معارك الساحل الشامي التي ساهم فيها عدد كبير من المُطَّوِّعة وقادتهم تجنباً للإطالة وتجاوز الحجم المسموح به للبحث.

الخاتمة والتوصيات

توصل البحث إلى جملة من النتائج نلخصها بما يلي: ان الـــمُطَّوِّعة هم من عامة الناس تطوعوا لتلبية الواجب الديني للدفاع عن الأرض المقدسة، وبدون مقابل إذ لا أجور لهم ولاسهم ولا اسم لهم بالديوان. وقد كان لسيطرة صلاح الدين على الشام وتوحيدها مع مصر، سبباً لتوحد الجبهة الإسلامية المقاوِمة للصليبيين، وذلك بعد ترتيبه لأوضاع الشام التي ارتبكت بعد استشهاد نور الدين محمود زنكي.

اعتنى صلاح الدين بالجيش الذي وسعه وطوّر صنوفه، فشجّع على استقدام المُطَّوِّعة الذين لبوا نداء الواجب زعماء قبائل عربية وعلماء وفقهاء وادباء وعوام الناس. وقد أحاط صلاح الدين هؤلاء المُطَّوِّعة بكل العناية والإكرام حتى بلغوا عنده مكانةً مرموقةً فكان منهم القادة العسكريون، فضلاً عن تولية بعضهم المناصب الرفيعة كالدواوين والقضاء وقيادة الجيش وادارة الثغور. وقد لعب المُطَّوِّعة وقادتهم دوراً فاعلاً في معركة حطين فساهموا في القتال وتقديم النصح والمشورة التي حرص السلطان على اعتمادها وترجيح رؤيتهم. وكذلك في معركة عكا ومحيطها كان لرأي المُطَّوِّعة وقادتهم القادمين من بلدات الساحل الشامي الرازح تحت الإحتلال الصليبي، ذلك الرأي الذي يؤكد على عدم اعطاء الصليبيين الفرصة وضرورة فتح عكا، فكان لهم ما ارادوا.

وتلاحمت جموع المُطَّوِّعة مع الجيش الإسلامي لتحرير عكا وقيسارية ونابلس ويافا وصيدا وحيفا وتبنين وبيروت وجبيل وعسقلان. أما معركة فتح بيت المقدس فقد التف حول صلاح الدين جموعاً كبيرة من المُطَّوِّعة، إذ قصدته جموعاً منهم ومن علمائهم من مصر والشام فلم يتخلف معروفاً عن الحضور. وقد قدّم أحد المؤرخين وصفاً لتحرير بيت المقدس مقدرا أعداد العلماء من المُطَّوِّعة، إذ يذكر أنه شهد مع صلاح الدين هذا الفتح عشرة آلاف عمامة. واخيراً فقد كان للمُطَّوِّعة ومشايخهم الاستنفار الكامل والإستعداد للتضحية، إذ نصح مشايخهم السلطان صلاح الدين بضرورة فتح جبلة لتخليص المسلمين الموجودين في داخلها من قبضة الصليبيين وقد فعل.

الهوامش

1 محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**. بيروت، 1374هـ/1955م، ج4، ص2720.

2 سورة التوبة، آية 79

3 احمد بن فارس بن زكريا ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، 1979، ج3، ص431-432.

4 ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص2720.

5 أبو حامد محمد بن محمد، **الوسيط في المذهب**. تحقيق احمد محمود ابراهيم، القاهرة، 1417هـ، ج4، ص563.

6 مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث**. تحقيق محمود محمد الطناحي، د.م 1963م، ج5، ص100.

7 عماد الدين أبو الفداء ابن كثير، ، **البداية والنهاية**. تحقيق عبدالله التركي، القاهرة، 1999، ج12، ص351.

8 هو الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك، من كبار امراء الدولتين النورية والصلاحية، كان بطلاً شجاعاً محتشماً تمكن من القيام بأمور السلطنة بعد وفاة نور الدين زنكي، شارك مع صلاح الدين الأيوبي في فتوح بيت المقدس وعكا والسواحل، توفي في مكة سنة 583 هـ/ 1187م. انظر: شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، بيروت 1998م، ج12، ص764.

9 ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص351.

10 المصدر السابق، ج12، ص346، 670-673.

11 عبد الوهاب بن علي السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. بيروت 1964م، ج7، ص347-348؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنوات 581-590 هـ، ص355.

12 احمد عبد الله، **موقف العلماء والأدباء من الصليبيين**. عمان، 2002م، ص77.

13 هو الفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد، اصله من الهكارية قرب الموصل، شارك مع صلاح الدين مجاهدة الصليبيين في عكا، كانت وفاته اثنائها سنة 585 هـ، فنقل جثمانه إلى القدس إذ دفن فيها. انظر: عزالدين علي ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**. بيروت، 1980م، ج10، ص86، 190، 257؛ شهاب الدين أبو شامة، **الروضتين في اخبار الدولتين**. تحقيق محمد حلمي، القاهرة، 1962م، ج2، ص58-71، 102-105.

14 عزالدين علي ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**. تحقيق عبدالقادر احمد طليمات، القاهرة، 1963م، ص142؛ أبو شامة، الروضتين، ج1، ص160- 161.

15 عبدالله بن محمد بن هبة الله، كان من العلماء المطَّوعة في خدمة الدين، وقد شهد انه ما تقاضى عن خدمته للبيت الأيوبي راتباً، توفي سنة 585 هـ/1189م. انظر: عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري، **التكملة لوفيات النقلة**. تحقيق د. بشار عواد معروف، ط4، بيروت، 1988م، ج1، ص127-128.

16 أبو شامة، الروضتين، ج2، ص82.

17 انظر ترجمته الوافية في: شمس الدين احمد بن محمد ابن خلكان، **وفيات الاعيان**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1948م، ج1، ص106-108.

18 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص106

19 حصن حصين وكورة جليلة من اعمال حلب بإتجاه انطاكية. انظر شهاب الدين أبو عبدالله البغدادي ياقوت الحموي، **معجم البلدان**. بيروت 2008م، ج3، ص108.

20 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص106

21 أبو شامة، الروضتين، ج1، ص631

22 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143

23 هو رينالد دي شاتيون صاحب الكرك، كان مشهوراً بالغدر والخيانة، حاول غزو المدينة ومكة في الحجاز غير ان حملته بائت بالفشل، إذ أرسل الملك العادل أخي صلاح الدين ونائبه على مصر، القائد حسام الدين لؤلؤ فتم القضاء على قوات أرناط بأكملها. انظر: تقي الدين أحمد المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**. القاهرة، 1934م، ج1، ص78-79؛ ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**. ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت، 1967م، ج2، ص706-708.

24 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص143؛ بهاء الدين يوسف ابن شداد، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**. القاهرة 1317هـ، ص74-75.

25 محمد بن محمد العماد الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**. تحقيق ابراهيم شمس الدين، بيروت 2003م، ص80؛ جمال الدين محمد ابن واصل، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**. تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1953م، ج2، ص149.

26 أبو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**. تحقيق جنان الهموندي، بغداد 1990م، ج8، ق1، ص392-393؛ مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**. النجف، 1968م، ج1، ص319.

27 عبدالجبار محمود السامرائي، **معركة حطين، دراسة سياسية عسكرية**، مجلة المورد، بغداد 1987، مج 16، العدد 4، ص18.

28 هو ابن علي كوجك بن بكتكين والي إربل، أحد الأجواد والسادات الكبار، كان شجاعاً فتاكاً بطلاً عالماً عادلاً، قيل انه تمكن من تحرير 60 ألف أسير مسلم من أيدي الصليبيين، توفي سنة 639هـ/ 1241م. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص137؛ جمال الدين الاتابكي ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، القاهرة، 1972م، ج6، ص282.

29 كان الصليبيون يلقبونه بـ "الذئب الأزرق" لقوته وبأسه في القتال، وقد كانت المفرزة التي قادها تتكون من سبعة آلآف خيال جلهم من المطّوّعة؛ ينظر: السامرائي، معركة حطين، ص20.

30 السامرائي، معركة حطين، ص20.

31 العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص74؛ أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 76.

32 كانت خطة صلاح الدين التي تبلورت عنده على إثر استشارة كبار القادة، ان اشار عليه احد قادة المطّوّعة الذي لم تذكر المصادر اسمه بأن يشغل العدو من عدة اماكن لتشتيت قواته فتضعف شوكته؛ للمزيد ينظر: السامرائي، معركة حطين، ص18.

33 محمود فياض الزوبعي، **المقاومة العربية الإسلامية للغزو الصليبي حتى معركة حطين**. بغداد، 2003م، ص263.

34 العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص59؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص392.

35 الزوبعي، المقاومة العربية الإسلامية، ص263.

36 موضع بحوران من اعمال دمشق؛ ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص125.

37 السامرائي، معركة حطين، ص23.

38 السامرائي، معركة حطين، ص18.

39 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11،ص 339 ؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص59.

40 عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**. ط2، القاهرة، 1971م، ج2، ص811؛ السامرائي، معركة حطين، ص23.

41 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص340-341؛ السامرائي، معركة حطين، ص23.

42 ابن شداد، النوادر السلطانية، ص76؛ كمال الدين عمر ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**. تحقيق سامي الدهان، دمشق، 1954م، ج3، ص93.

43 الأصفهاني، الفتح القسي، ص77؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص186.

44 أبو شامة، الروضتين، ج2 ص76.

45 للمزيد ينظر: السامرائي، معركة حطين،ص20.

46 عبدالله، موقف العلماء والأدباء من الصليبيين، ص77.

47 السامرائي، معركة حطين، ص19.

48 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج2، ق1، ص392؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص76.

49 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص533؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص186.

50 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج2، ق1، ص392-93؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص93-94.

51 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص533؛ عبدالله، موقف العلماء والأدباء من الصليبيين، ص90.

52 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص533؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص76.

53 الأصفهاني، الفتح القسي، ص79-80 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص190.

54 هو تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين، كان مقدماً شجاعاً، توفى سنة 587هـ/1191م؛ انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص413.

55 أبو شامة، الروضتين، ج2، ص81.

56 الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني البنداري، **سنا البرق الشامي**. تحقيق فتحية النبراوي، مصر، 1979م، ج1، ص295؛ ابن الأثير، الكامل، ج11، ص536.

57 أبو شامة، الروضتين، ج2، ص76.

58 العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص79-80.

59 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص356 ؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص77.

60 يتحدث ابن الاثير عن ذلك قائلاً : "فلما رأى القمّص شدة الامر على انه لا طاقة لهم بالمسلمين اتفق هو وجماعته وحملوا على من يليهم وكان المقدم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين، فلما رأى حملة الفرنج علم انه لا سبب للوقوف في وجوههم فأمر اصحابه ان يفتحوا لهم طريقاً يخرجون منه". ينظر: الكامل في التاريخ، ج11، ص536.

61 أبو شامة، الروضتين، ج2، ص77 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص191-192.

62 حصن منيع بينه وبين مدينة بانياس ثلاثة فراسخ. ينظر: محمد بن احمد ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، بيروت، 1964م، ص291.

63 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص80؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص77.

64 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص353.

65 هاملتون جب، **صلاح الدين الايوبي، دراسات في التاريخ الاسلامي**. حررها يوسف ايبش، بيروت 1417هـ/ 1996م، ص196.

66 الأصفهاني، الفتح القسي، ص172-173؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص160-161.

67 الأصفهاني، الفتح القسي، ص173-174 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص246.

68 اتجه صلاح الدين إلى عكا لتحقيق اتصال بحري بين مصر وبلاد الشام ودخلها بعد ان سلم جوساين الثالث حاكمها مفتاح المدينة، بعد ان امنهم صلاح الدين على ارواحهم، وانفسهم، وممتلكاتهم، وفوض صلاح الدين الايوبي امر المدينة إلى ولده الافضل نور الدين عليهم. للمزيد انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص201 ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص812-813.

69 فتح صلاح الدين نابلس بالأمان، انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص204.

70 هاجم العادل يافا، وبعد مقاومة، سقطت بيده. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص204.

71 دخلت صيدا تحت سيطرة صلاح الدين، بعد ان استسلمت دون مقاومة. انظر: ابن واصل، مفرج، ج2، ص206.

72 حاصر صلاح الدين بيروت لمدة ثمانية ايام، وتسلمها بعد ان امن اهلها، على انفسهم واموالهم. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص542؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص206.

73 تسلم صلاح الدين جبيل، مقابل اطلاق سراح صاحبها، اوك الصليبي. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص 542.

74 حاصر صلاح الدين عسقلان، وظل اهلها من الصليبيين يقاومون حتى نفذت امكانياتهم، ودخلها بعد ان امن اهلها من الصليبيين بناء على طلبهم. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص542.

75 ابن شداد النوادر السلطانية، ص111 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص296.

76 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص389 ؛ أبو شامة، الروضتين، ج3، ص198-200.

77 المنذري، التكملة لوفيات النقلة، مج، ص215.

78 أحمد الشامي، **صلاح الدين والصليبيون، تاريخ الدولة الايوبية**. ط1، القاهرة، 1991م، ص69.

79 الشامي، صلاح الدين والصليبيون، ص70.

80 ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص344.

81 ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص344.

82 كان من بين الامراء الناجين من معركة حطين وقد سمح له صلاح الدين بالذهاب إلى بيت المقدس، شريطة الا يبيت هناك اكثر من ليلة واحدة لاخذ زوجته الملكة ماريا كومنين واولاده، وكان قد تزوجها بعد وفاة زوجها عموري الاول ملك بيت المقدس. ولما وصل إلى هناك وجد المدينة في حالة يرثى لها، فلا يوجد بها فرسان للدفاع عنها، والروح المعنوية لساكنيها من الصليبيين منهارة عقب سماعهم بانباء هزيمة حطين واسر ملكهم، وقد فرح الصليبيون في بيت المقدس برؤية "باليان"، وتوسلوا ليبقى معهم ويدافع عنهم، فتجاهل وعده لصلاح الدين، وظل بالمدينة وأخذ يعمل في سرعة لإنقاذ الكيان الصليبي المتداعي للهلاك، وجمع ما يمكن جمعه من الفرسان وابنائهم فوق الخامسة عشرة، بالإضافة إلى من يصلح للقتال من الرجال، وبدأ في استئجار الجند للدفاع عن المدينة وتحصينها، انتظاراً لقدوم صلاح الدين. للمزيد ينظر: عبدالله، موقف العلماء والادباء من الصليبيين، ص79.

83 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص549.

84 عبدالله، موقف العلماء والادباء من الصليبيين، ص79.

85 ابن شداد، النوادر السلطانية، ص82.

86 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص130؛ ومما يؤسف له ان المصادر لم تركز على اي دور فعال لاحد هؤلاء العلماء والفقهاء ممن شاركوا في عملية الفتح. ولمزيد من التفصيلات عن عملية استرداد المسلمين لبيت المقدس راجع : ابن شداد، النوادر السلطانية، ص66، أبو شامة، الروضتين، ج92.

87 سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1، ص397-398.

88 ومما ورد في هذه الرسالة: "وما كان يعوزنا ويعوزه الا حضور المجلس السامي اسماء الله، فما لهذا الامر رواء الا بروائه، ولا للانس لقاء الا بأنس لقائه، وكاد يتصفح الفتح لولا دعائه وحسن الاله. والحمدلله الذي خصنا بهذه الخاصية وفضلنا بالنصرة القدسية، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية، والحمدلله على هذه النعمه السنية فما اشوقنا واشوق القدس إلى قومه، وما اظمانا واظماه إلى خصوص الري به وعمومه ويلحظ هذا البيت الذي هو اخر البيت الحرام وزيارته وما انق روضه واوفق رضاء اذا فاز بنظره ونضراته، ونحن نعرف ان همته العالية تحدوه، وان دينه إلى اجابة دعوته تدعوه ونسأل الله ان يكمل صحته وينعش قوته، ويقوي نهضته، وما اقمنا بهذا البلد الا لتطهير وترتيب امره وتدبيره". انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ص255؛ أبو شامة، الروضتين، ج2، ص99.

89 يقصد بهم الصوفية بان الخرفة مصطلح صوفي يعني به مايلبسة المريد من شيخه الذي يدخل في اردته ويتوب على يده؛ للمزيد ينظر: عبدالرزاق كمال الدين الكاشاني، **اصطلاحات الصوفية**. تحقيق عبد العال شاهين، بيروت: دار المنار للنشر والطباعة، 1992م، ط1، ص159-160.

90 الفقيه الشافعي قاضي قضاة دمشق اصله من العراق من حديثة عانة الموصل، ترجم له ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص26-28؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، **العبر في خبر من غبر**. تحقيق فؤاد اسيد، الكويت، 1996م، جزء4، ص256؛ صلاح الدين بن خليل يبك الصفدي، **نكت الهميان في نكت العميان**. تحقيق أحمد زكي، القاهرة، 1911م، ص185.

91 أبو شامة، الروضتين، ج3، ص299.

92 ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص718.

93 عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي المعروف بابن رجب، **ذيل طبقات الحنابلة**. تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة 1952م، ج2، ص56.

94 أبو شامة، الروضتين، ج3،ص 213.

95 ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، ج2، ص56؛ شاكر مصطفى، **مدينة للعلم، آل قدامة والصالحية**. بيروت، 1997م، ص64-65.

96 ابن رجب، ذيل طبقات الحنابله، ج2، ص16.

97 ابن رجب، ذيل طبقات الحنابله، ج2، ص10.

98 هو عبد الله بن عمر، كان فقيها بارعاً في مذهب الإمام احمد بن حنبل، والمناظرة والخلاف، توفي بحرّان سنة 586 هـ /1190م، ينظر ابن رجب، ذيل طبقات الحنابله، ج2،ص372.

99 ابن رجب، المصدر نفسه، ج2،ص 193-194؛ عبد القادر بن محمد النعيمي، **الدارس في تاريخ المدارس**. تحقيق جعفر الحسيني، دمشق، 1948م، ج2، ص70.

100 ابن رجب، المصدر نفسه، ج2، ص194.

101 كان محدثاً، بغدادي الأصل، سكن دمشق ودرّس بها الحديث، ابن رجب، المصدر نفسه، ج2،ص 378-379 .

102 انظر ترجمته في: العليمي، الأنس الجليل، ج1، ص 144.

103 يوسف بن اسماعيل النبهاني، **جامع كرامات الأولياء**. تحقيق ابراهيم عطوة عوض، غجرات، 2001، ج1، ص165.

104 قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص105.

105 ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج10، ص167، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص2؛ وبالنسبة لسيرة قاضي جبلة فلم نعثر له على ترجمة في كتب التراجم. وقد اكتفى معظم المؤرخين المعاصرين بذكره تحت اسم قاضي جبلة دون توضيح لاسمه عدا ابن الاثير.

106 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص277.

107 عبدالله، موقف العلماء والادباء من الصليبيين، ص100.
108 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص223.
109 عبدالله، موقف العلماء والادباء من الصليبيين، ص100.
110 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص233-234.
111 أبو شامة، الروضتين، ج2، ص127.
112 عبدالله، موقف العلماء والادباء من الصليبيين، ص102.
113 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص234.
114 ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص354، 361.
115 ابن شداد، النوادر السلطانية، ص311.
116 العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص297، 308، 317.